

أخيم شتاينر
نائب الأمين العام للأمم المتحدة
المدير التنفيذي
برنامج الأمم المتحدة للبيئة

--
رسالة حول يوم البيئة العالمي
5 حزيران/يونيه 2007

يركز يوم البيئة العالمي على التحديات التي يواجهها البشر والنظم البيئية في منطقة القطب الشمالي والأنتركتيكا نتيجة التغيرات البيئية والمناخية السريعة. وأثناء ذلك، يرتبط اليوم أيضاً بالعالم الأوسع حيث تنقلص أنهار الجليد ويؤدي وقوع أحداث الطقس المتطرفة بأعداد متزايدة إلى تكرار حدوث الجفاف والفيضانات بمعدلات أكثر.

بتركيزنا على المناطق القطبية، نرفع مرآة تكشف الوتيرة المتسارعة للأثار التي تكسح الكوكب بأكمله بسبب اطلاق غازات الدفيئة إلى الغلاف الجوي. إن هذه المناطق التي تبدو نائية تعكس بمنتهى الوضوح الصلة المتشابكة بين أشكال الحياة على الأرض – جاعلة الستة بلايين شخص الذين هم على قيد الحياة اليوم يدركون مدى الاعتماد والاتصال المتبادل بيننا وبين المناظر الطبيعية والنظم الإيكولوجية سواء القريبة منها أو البعيدة.

قد تمثل المنطقة القطبية الشمالية والأنتركتيكا نظام الإنذار المبكر لمناخ الأرض – حيث تشعر بقلب الأرض نفسه – ولكننا نعلم أن الأمر لا ينتهي هناك. فدوران المحيط الذي يعد المحرك الرئيسي لنظم الطقس الإقليمية والعالمية، يترابط بشكل يتعذر وصفه بعمليات الذوبان والتجمد في القطبين وحولهما. كما تعد المناطق القطبية أيضاً نوعاً من الدرع الواقي حيث تعكس مرة أخرى إلى الفضاء الحرارة التي كانت الأرض ستمتصها إن لم تكن هذه العملية تحدث. كما أن هناك قلق متنام بشأن ما يطلق عليه "التغذيات الراجعة الإيجابية"، بما في ذلك احتمالية إطلاق كميات هائلة من الميثان، ذلك الغاز القوي من غازات الدفيئة المخزن في الأرض دائمة التجمد في المنطقة القطبية الشمالية.

لذا، ما يحدث في المنطقة القطبية الشمالية والأنتركتيكا نتيجة لتغير المناخ هو محط اهتمام منا جميعاً – من شخص يحيا في حوض نهر الكونغو، ومن الظهير الأسترالي والريف الصيني، إلى قاطني الضواحي في برلين، أو نيودلهي، أو ريو دي جانيرو، أو واشنطن العاصمة.

وفي الوقت ذاته، يهتم أهل المناطق القطبية الشمالية اهتماماً مباشراً بالأفعال التي يأتي بها من يعيشون خارج المناطق القطبية. تتولد الغالبية العظمى من الانبعاثات التي تسهم في ذوبان الجليد على الطرق وفي المصانع، وفي المنازل والمكاتب في الاقتصادات الصناعية، ومن زيادة الاقتصادات التي تتحول بسرعة إلى التصنيع.

نحن الآن حبيسون في دائرة مفرغة دائمة الاتساع. مسئوليتنا المشتركة تفرض علينا أن نجعلها دائرة للفعل الحسن – لنبرز أن تغلبنا على الإسراف في حرق الوقود الأحفوري لا يمثل عبئاً، بل هو في الحقيقة فرصة. إن التحول إلى مسار تنموي أنظف وأكفأ لن يحررنا فقط من التهديد الطاعني لتغير المناخ، بل يمكن أن يحررنا أيضاً من الاعتماد على مورد محدود ماله إلى الانتهاء، والبعض قد يقول أنه مورد معوق سياسياً.

هناك علامات على أن هذا التحول يمكن أن يحدث نتيجة للعديد من العوامل المركزية التي بدأت أخيراً تدخل في الصورة – وهذا قد بدأ يحدث بالفعل. في البداية الاقتصاد الذي لا يعمل والفوائد الاقتصادية العائدة من العمل قد تحركت في الشهور الأخيرة صوب المقدمة. إن الاستطلاع الذي أعده سير نيكولاس شتيرن والذي نشر قبل إجراء محادثات اتفاقية تغير المناخ في نيروبي في نهاية 2006 قد غير الصورة تماماً وإلى الأبد فيما يتعلق بهذا المجال. ورد في هذا الاستطلاع أنه إن لم يتم القيام بالعمل اللازم، فنحن بذلك نخاطر برفع متوسط درجات الحرارة العالمية بما يزيد عن 5 درجات مقارنة بالمستويات من قبل عصر الصناعة، وهذا سوف يؤدي إلى فقد ما يعادل 5% على الأقل من إجمالي الناتج المحلي سنوياً.

على النقيض من ذلك، فإن تكاليف العمل لتقليل انبعاثات غازات الدفيئة لتفادي أسوأ الآثار قد تقل عن 1% من إجمالي الناتج المحلي العالمي سنوياً. وحديثاً، خلصت إحدى شركات المحاسبة الأمريكية الكبرى إلى أنه سيتعين على العالم أن يضحى بالنمو الاقتصادي لعام واحد خلال العقود الأربعة القادمة لتقليل انبعاثات الكربون بما يكفي للحد من الاحترار العالمي.

وفقاً لتقديرات شتيرن أيضاً، سوف يجعل تقليل الانبعاثات العالم بالفعل أفضل حالاً. تشير إحدى التقديرات إلى أنه بمرور الزمن سوف يحفز التحول إلى اقتصاد عالمي منخفض الكربون مزايا تبلغ 2.5 ترليون دولار سنوياً. مثل هذه النتائج تأخذ تغير المناخ إلى ما وراء محفظة أوراق وزير البيئة، وبالتأكيد، ستأخذه إلى درج المراسلات الواردة على مكاتب وزراء المالية ورؤساء الدول من كل أنحاء العالم.

العامل الثاني هو مسألة أمان الطاقة – أو، ما يمكننا القول عنه، عدم أمان الطاقة – نظراً للاعتماد العالمي على أنواع الوقود الأحفوري، يتزايد إدراك الدول إلى أن مزايا مصادر الطاقة المتجددة، ومحطات الطاقة العاملة بحرق الفحم ذات معدلات الانبعاث المنخفضة أو التي تبلغ صفر، وكفاءة الطاقة تتعدى مسألة تهيئة الأجواء لتحقيق الأمن القومي.

بدأ الآخرون أيضاً استيعاب بعد آخر للأمن يتضمن الصلة بين أحداث الطقس المتطرفة مثل الفيضانات والجفاف إلى قضايا وطنية وإقليمية أوسع نطاقاً.

تغير المناخ يعظم من التباينات القائمة بالفعل بين الأغنياء والفقراء، وكذا التوترات المتفاقمة على الموارد الطبيعية الهشة أو التي تزداد ندرة مثل الأرض المنتجة والمياه العذبة؛ فهو ما يؤدي إلى زيادة احتمال إيجاد فئة جديدة من المشردين المعترف بهم جماعياً باسم لاجئي البيئة.

ليس بالضرورة أن تأخذ بكلامي في هذا الموضوع. وجه سؤال لكريستينا نابونا، وزيرة البيئة الأسبانية أثناء المحادثات الأخيرة بشأن تغير المناخ حول سبب استثمار دولتها في شراكة جديدة مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي لمساعدة إفريقيا على التكيف مع تغير المناخ. كانت إجابتها واضحة. أسبانيا تربط العدد المتزايد للأشخاص القادمين من إفريقيا الذين يخاطرون بحياتهم ويعرجون في قارب متهالك ليبحر بهم إلى جزر الكناري بالتدهور البيئي، بما في ذلك تغير المناخ.

وفي النهاية، أصبح علم تغير المناخ الآن لا نزاع عليه، وتم التركيز عليه بدرجة أكبر في التقارير الأخيرة الصادرة في شباط/فبراير من هذا العام عن المجموعة البيئية لتغير المناخ. النتائج تضع النهاية للجدل العلمي حول ما إذا كانت البشرية تؤثر على المناخ، وتطرح السؤال ما الذي يتعين علينا القيام به حيال ذلك.

إن الإرادة السياسية الجماعية والحاسمة هي القطعة الأخيرة من الأحجية – والتي لا تزال مفقودة. في حين أن هناك قطاعات عديدة من المجتمع تعمل لمعالجة قضايا تغير المناخ – بما في ذلك السلطات المحلية، والصناعة، والقطاع المالي، والمجتمع المدني – إلا أن العملية السياسية الجماعية تتحرك ببطء مخيب للأمل.

اتخذت بعض الخطوات في الاجتماع بشأن تغير المناخ الذي عقد في نيروبي تحت رعاية اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول تغير المناخ. وتهدف الشراكة بين برنامجي الأمم المتحدة للبيئة والإنمائي التي ذكرت قبل سابق إلى مساعدة الدول النامية على تأمين حصة من مشروعات الطاقة النظيفة التي بدأت تتدفق من آلية التنمية النظيفة لبروتوكول مونتريال. كما ستقدم أيضاً شكلاً من الاستجابة السريعة للدول في الصحراء الإفريقية وفي أماكن أخرى تعزل اقتصاداتها عن التغيرات المناخية الحادثة بالفعل.

علاوة على ذلك، تمت الموافقة على صندوق التكيف لبروتوكول مونتريال، كما كانت هناك علامات إيجابية أخرى حول القضية مثل التصحر الذي تم تجنبه حيث كان هناك اتفاق يعد أيضاً اتفاقاً حيوياً للمحافظة على الثقة والاستثمار في سوق الكربون الآخذة في الازدهار. إن لم تكن نيروبي موجودة، عندئذ، فأين ومتى ستنشأ هذه الخطوة لعمل قطع أعمق في عالم ما بعد 2012؟

كان هو جون تيندال، عالم الفيزياء الإنجليزي، الذي أدرك قوة ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء في تغيير مناخ الأرض. عرض هذا منذ ما يزيد عن 100 سنة ماضية في الورقة الإبداعية التطويرية التي أعدها عام 1863. لا نستطيع أن ننتظر لمدة 100 سنة أخرى لنبدأ العمل. في واقع الأمر، هناك بعض المراقبين الجديرين بكل الاحترام والتقدير الذين يقولون أن الوقت المتبقي أمامنا قد يقل عن عقد أو ما شابه لفعل ذلك. بعد ستة أشهر من الآن، في جزيرة بالي الإندونيسية، سوف تستأنف الحكومات مباحثاتها بشأن المناخ. ويحدوني الأمل الصادق أن تكون بالي هي الحد الفاصل لنرى قضايا العلم، والأمن والاقتصاد تجتمع معاً لتخرج بعمل سياسي واسع النطاق.

إن اختيار النرويج الواقعة على حافة الدائرة القطبية الشمالية لاستضافة الاحتفالات الأساسية ليوم البيئة العالمي لهذا العام يتناسب مع الموضوع المختار وهو: ذوبان الجليد: موضوع ساخن؟ و يبرز شعار الموضوع العالمي عن طريق سؤال دب قطبي، ومزارع إفريقي، وأحد سكان جزر المحيط الهادئ، وشركة تأمين، ورجل أعمال، واثنين من أطفال السكان الأصليين، و"نفسك" في نهاية الأمر ذلك السؤال الذي لا يحتاج إجابة عليه: هل هذا الموضوع حقاً هو موضع الساعة أم لا.

ربما كان يتعين علينا إضافة شخص آخر – ألا وهو السياسي. إن تمكين المواطن الفرد يكمن في قلب يوم البيئة العالمي. وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة يحث الجميع على تبني موضوع هذا العام وتوجيه أسئلة إلى قادتهم السياسيين، والممثلين المنتخبين ديمقراطياً: إلى أي حد يتعين أن يكون هذا الموضوع أكثر سخونة ليصبح أمام الحكومات في كل أنحاء العالم لتلتزم بالعمل معاً؟